

آفات اللسان

إفشاء السر وفضول الكلام



الشيخ ندا أبو أحمد

الألوكة

www.alukah.net

أَفْئَاتُ اللِّسَانِ

(٧)

- إِفْثَاءُ السَّرِّ

- فَضُولُ الْكَلَامِ

للشيخ / ندا أبو أحمد

بيت الحكمة
جريدة

أولاً: إفشاء السر

إفشاء السر خيانة للأمانة، ونقض للعهد، وهو دليل على لؤم الطبع، وفساد المروءة، وكم طُلِّقَتْ من زوجات، وقُطِّعَتْ من أرحام، ومُزِّقَتْ من صداقات، وفُرِّقَ بين أخوين متحابين، وتهاجر متآلفين، وكم سُفِّكَتْ من دماء، وكم سُلِّبَتْ من حقوق، وكم قُطِعَ من صلة، وكم مُنِعَ من خير، وأُحْدِثَ من ضرر، والسبب إفشاء السر.

الإفشاء لغة: يعني ظهور الشيء، يقال: فشا الشيء يعني ظهر، **وقال الجوهري:** "يقال: فشا الشيء يفشو فُشُواً: أي ذاع"
السر لغة: اسم لما يُسَرُّ به الإنسان، أي يكتمه.

إفشاء السر اصطلاحاً:

قال السفاريني رحمته: "إفشاء السر نشره وإذاعته (بين الناس)، والسر هو ما يكتم في النفس كالسريرة".

بتصرف (عن غذاء الألباب: ١/١١٥)

وقال الكفوي رحمته: "إفشاء السر يكون بالكتابة والإشارة والكلام". (الكليات للكفوي: ١٤)

• الدافع إلى إفشاء السر ودلالته:

قال الراغب رحمته: "إذاعة السر من قلة الصبر وضيق الصدر، ولا يوصف به إلا ضعف الرجال والصبيان والنساء".

- **وقال الماوردي رحمته:** "في الاسترسال بإبداء السر دلائل على ثلاث أحوال مذمومة: إحداهما: ضيق الصدر، وقلة الصبر، الثانية: الغفلة عن تحدر العقلاء، والسهو عن يقظة الأذكياء، **وقال بعض الحكماء:** "انفرد بسرّك ولا تودعه حازماً فيزلّ، ولا جاهلاً فيخون، الثالثة: ما ارتكبه من الغرر، واستعمله من الخطر، **وقال بعض الحكماء:** "سرّك من دمك، فإذا تكلمت به فقد أرقته".

(أدب الدنيا والدين للماوردي: ص ٢٩٥)

• حكم إفشاء السر

قال السفاريني رحمته الله: "يُحْرَمُ عَلَى كُلِّ مَكْلَفٍ إِفْشَاءُ السَّرِّ، قَالَ: وَلَعَلَّهُ يَحْرُمُ حَيْثُ أُمِرَ بِكْتَمِهِ، أَوْ دَلَّتْهُ قَرِينَةٌ عَلَى ضَرُورَةِ كِتْمَانِهِ، أَوْ كَانَ مِمَّا يُكْتَمُ عَادَةً، وَقِيلَ: الَّذِي يَحْرُمُ هُوَ إِفْشَاءُ السَّرِّ الْمَضْرُوبِ".

(غذاء الألباب: ١١٦/١)

- **وقال الغزالي رحمته الله:** "هو منهي عنه (إفشاء السر) لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف

والأصدقاء، وهو حرام إذا كان فيه إضرار، وهو من قبيل اللؤم إن لم يكن فيه إضرار"

(إحياء علوم الدين: ١٣٢/٣)

- **وذكر ابن بطال:** "أن الذي عليه أهل العلم أن السر لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة"

(فتح الباري: ١١/٨٥)

- **قال الجاحظ:** "إفشاء السر: خُلِقَ مُرْغَبٌ مِنَ الْخَرَقِ وَالْخِيَانَةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِوَقُورٍ مَنْ لَمْ يَضْبُطْ لِسَانَهُ،

وَلَمْ يَنْسَعِ صَدْرَهُ لِحِفْظِ مَا يُسْتَسَرُّ بِهِ"

(تهذيب الأخلاق: ٣٠)

• هل يجوز إفشاء السر للمصلحة؟

جاء في حديث أخرجه الإمام أحمد والبيهقي في "السنن" وأبو داود من حديث جابر رضي الله عنه

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المجالس بالأمانة إلا ثلاثة: مجالس سفك دم حرام، أو فرج حرام،

أو اقتطاع مال بغير حق"

والمعنى أن ما يحدث في المجالس أمانة إلا ما يؤدي إلى إراقة دم من مسلم بغير حق، أو استحلال فرج

حرام على وجه الزنا، أو استحلال مال من غير حله سواء من مال مسلم أو ذمي، فمن قال في مجلس:

"أريد قتل فلان، والزنا بفلانة، أو اقتطاع مال فلان ظلماً؛ لا يجوز للمسلمين حفظ سره، بل عليهم

إفشاؤه دفعاً للمفسدة.

- **يقول المعز بن عبد السلام:** "السترُ على الناس من شيمة الأولياء، ولكن قد يجوز الإفشاء إذا

كان في ذلك مصلحة، أو دفع ضرر، ويستدل على ذلك بما ذكره القرآن الكريم من إفشاء يوسف عليه السلام

بسرّ التي راودته عن نفسه، وسر النسوة اللاتي قطعن أيديهن، وإنما قال يوسف عليه السلام: "هي راودتني عن

نفسي؛ ليدفع عن نفسه ما تعرّض له- أو ما يمكن أن يتعرّض له - من قتل أو عقوبة، وكذلك قوله:

"ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن؛ ليدفع التهمة عن نفسه، فإن الملك لو اتهمه لم يؤلّه، ولم يُحْمَلْ

على إحسان الولاية".

(شجرة المعارف والأحوال للمعز بن عبد السلام ص ٣٨٩) بتصرف

• وإفشاء السر ينقسم إلى قسمين

الأول: إفشاء سر النفس، والثاني: إفشاء سر الغير، وكلاهما مذموم، والأول أهون من الثاني.

أولاً : إفشاء سر الإنسان نفسه

على الإنسان أن يستعين على قضاء حوائجه بالكتمان، ولا يفشي سرّه لأحد؛ لأنه ربما يكون ذلك سبب من أسباب فشله، أضف إلى هذا أنه ربما كان سبباً في ذلّه لمن أفشى له سرا.

- يقول علي بن أبي طالب عليه السلام: "سرك أسيرك، فإن تكلمت به صرت أسيره".

(المستطرف: ٢٩٦/١)، (أدب الدنيا والدين للماوردي: ص ٢٩٥)

- وقال أيضاً:

ولا تُفش سرّك إلا إليك
فإنك رأيت غواة الرجال
فإن لكل نصيح نصيحاً
لا يتركون أديماً صحيحاً

(كتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا: ص ٤٥١)

- يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: "ما وضعت سرّي عند أحدٍ أفشاه عليّ فلمتّه، أنا كنت أضيق به

حيث استودعته إياه".

(الصمت وآداب اللسان: ص ٤٥١)

- وورد هذا الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب "المستطرف" (٢٩٧/١) بلفظ:

"ما أفشيت سرّي إلى أحدٍ قطّ فأفشاه فلمتّه، إذ كان صدري به أضيق".

- وصدق القائل حيث قال:

إذا ضاق صدرك عن حديثٍ
وإن عاتبت من أفشى حديثي
وأفشته الرجال فمن تلوم؟
وسرّي عنده فأنا الملوم

(المستطرف: ٢٩٨/١)

- وقال بعضهم:

إذا تجاوز الاثنين فاشي
فلا تنطق بسرّك كل سرّ

(أدب الدنيا والدين للماوردي: ص ٢٩٥)

- وقال أحدهم:

ولام عليه غيره فهو أحقُّ
فصدر الذي يستودع السر أضيُّقُ

إذا المرءُ أفشى سرَّه بلسانه
إذا ضاق صدر المرءِ عن سرِّ نفسه

(المستطرف: ٢٩٨/١) (أدب الدنيا والدين للماوردي: ص ٢٩٦)

- وقال حكيم لابنه: "يا بني، كن جواداً بالمال في موضع الحق، ضنيناً بالإسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، والبخل بمكتوم السرِّ" (أدب الدنيا والدين للماوردي: ص ٢٩٥)

- يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

"القلوب أوعية والشفافة أفعالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كلُّ إنسانٍ مفتاح سرِّه، ومن عجائب الأمور أن الأمور كلما كثرت خزائنها كان أوثق لها، وأمَّا الأسرار فإنها كلما كثرت خزائنها كان أضيع لها، وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه، ولو كتّمه أمن من سطوته". (المستطرف: ٢٩٦/١)

- وكان يقال: "أحزم الناس من لا يفشي سرَّه إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شرٌّ فيفشي عليه".

(المصدر السابق: ٢٩٨/١)

• ومن الناس من يهتك سرَّ نفسه، فتراه يبیت على معصية ثم يصبح فيكشف ستر الله عليه، ويفضح سر نفسه، وهذا من الخذلان

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"كلُّ أمّتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه"

فعلى الإنسان أن يحفظ سرَّ نفسه، ولا يفشيه لأحد، ومن الأمور التي ينبغي أن يحفظها:-

١- أعمال السر التي بينه وبين ربه

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:

"خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، ونحن ستة نفر بيننا بعير نَعْتَقِبُهُ^(١) قال: فَنَقَبْتُ أقدامنا^(٢)، فنقبت قدمي، وسقطت أظفاري، فكنا نلُفُّ على أرجلنا الخرق، فسُمِّيت غزوة ذات الرقاع^(٣)، لَمَّا كُنَّا نَعْصِبُ على أرجلنا من الخرق، قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث، ثم كره ذلك قال: كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئاً^(٤) من عمله أفشاء به".

- وضرب النبي ﷺ مثلاً رائعاً لحفظ السر بين العبد والرب

فقد ذكر في حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظلِّه يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم: **"... ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها؛ حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه..."** (متفق عليه) يعني لو استطاع الإنسان أن يخفي على نفسه لفعل.

- وهاهو عبد الله بن المبارك رضي الله عنه: "يقول عنه محمد بن أعين:

"كان ذات ليلة ونحن في غزاة الروم، ذهب ليضع رأسه ليريني أنه ينام، ووضعت رأسي كأني أنام كذلك، فظنَّ أنني قد نمت، فقام فأخذ في صلاته، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمقه، فلما طلع الفجر أيقظني وظن أنني نائم، وقال: يا محمد، فقلت إنني لم أنم، فلما سمعها مني ما رأيته بعد ذلك يكلمني، كأنه لم يعجبه ذلك مني لَمَّا فَطَنْتَ له من العمل، ولم أر رجلاً أسر بالخير منه". (الجرح والتعديل: ١/٢٦٦)

- ويقول عنه أيضاً عبده بن سليمان: "كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجلٌ من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، فزادحم عليه الناس، وكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو يلثم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممَّن يشنع علينا".

(صفوة الصفوة: ٤/١١٩)

(١) نَعْتَقِبُهُ: أي نتعاقب عليه في الركوب، بحيث يركب كل واحد نوبة ثم ينزل فيركب الآخر... وهكذا.

(٢) نقبت: أي تفرحت من الحفاء وكثرة المشي.

(٣) ما ذكر هنا الصحيح في سبب التسمية، وهناك آراء أخرى منها:- أنها سُمِّيت بذلك باسم جبل هناك، وقيل: باسم شجرة، وقيل: لأنه كانت

ألويتهم رقاع، ويحتمل أنها سُمِّيت بمجموع ذلك. (انظر شرح الإمام النووي على مسلم)

(٤) في رواية البخاري: "شيء" بالرفع على أنه فاعل تكون التامة.

- **وهاهو داود بن أبي هند** رضي الله عنه: "صام أربعين سنة لا يعلم به أهله ولا أحد، وكان خَزَّازًا، يحمل معه غداءه من عندهم فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشيًّا فيفطر معهم، فيظن أهل السوق أنه قد أكل في البيت، ويظن أهل البيت أنه قد أكل في السوق". (صفة الصفوة: ٣/٣٠٠)

- **وهاهو الربيع بن خثيم** رضي الله عنه تقول عنه ابنته سريّة:

"كان عمل الربيع كله سرا، إن كان ليجيء الرجل، وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه". (حلية الأولياء: ٢/١٠٧)

- **يقول ابن قتيبة** رضي الله عنه: "حاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً، وكان في ذلك الحصن نقب - أي ثقب في الحائط - فندب الناس إلى دخوله، فما دخله أحد، فجاء رجل من عرض الجيش - أي من عامته غير معروف - فدخله، ففتح الله عليهم الحصن، فنادى مسلمة: "أين صاحب النقب؟ فما جاء أحد، فنادى: إني قد أمرتُ الآذن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء، فجاء رجل إلى الآذن، فقال: استأذن لي على الأمير، فقال له: "أنت صاحب النقب؟ قال: "أنا أخبركم عنه، فأتى الآذن إلى مسلمة فأخبره؛ فأذن له، فقال الرجل لمسلمة: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألا تسودوا اسمه - أي لا تكتبوه - في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو؟ - أي من أي قبيلة هو - قال مسلمة: "فذاك له، فقال الرجل: "أنا صاحب النقب"، فكان مسلمة بعد هذه الحادثة لا يصلي صلاة إلا قال: "اللهم اجعلني مع صاحب النقب".

٢- الأسرار الزوجية

أوصى رجل زوجته بحفظ السر، فقال لها: "كلّ امرئ يا أمّ عمر طبيعته، وتفضيل ما بين الرجال الطباع، فلا يسمعن بسرّي وبسرّك ثالثاً، ألا كل سرّ جاوز اثنين ضائع"

- وأخطر الأسرار الزوجية التي ينبغي أن تحفظ ولا تفضى هي أسرار الفراش، وقد شدّد الشرع الحكيم على هذا الأمر لخطورته

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها:

"أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرجال والنساء قعوداً عنده، فقال: لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تخبر ما فعلت مع زوجها، فأرّم القوم^(١) فقالت: إي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن، قال: فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانه فغشيهما^(٢) والناس ينظرون".

(١) فأرّم القوم: أي سكتوا، وقيل: سكتوا من خوف.

(٢) فغشيهما: أي واقعهما وارتكب معها الفاحشة.

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته^(١)، وتفضي إليه ثم ينشر سرها".

- وفي رواية عند مسلم أيضاً: "إن من شر الناس منزلة يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه"

- وفي رواية: "إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها"

- وكما قيل: "أكثر ما يستنزل الإنسان عن سره في ثلاثة مواضع: عند الاضطجاع على فراشه، وعند خلوه بعزيبه، وفي حال سكره" (الذريعة إلى مكارم الشريعة - الأصفهاني: ص ٢٩٨)

٣- قضاء الحوائج

فقد أخرج الطبراني في "معجمه الثلاثة" من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "استعينوا على إنجاز الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود" (صحيح الجامع: ٩٤٣)

٤- في الحرب

فلا ينبغي للأمر أن يعلن عن وجهته أو أسرار الحرب حتى لا تنتشر وتصل للأعداء ويأخذون حذرهم، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقصد مكاناً إلا ورى بغيره؛ لكي لا تكتشف وجهته.

(١) يفضي إلى امرأته: أي يصل إليها بالمباشرة والمجاعة.

ثانياً: إفشاء سر الغير

فحديث أخيك لك في السرّ أمانة ولو لم يطلب منك الكتمان؛ لأن النبي ﷺ يقول فيما يرويه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث جابر بن عبد الله ﷺ:

"إذا حدّث الرجلُ بحديثٍ، ثم التفتَ فهي أمانة" (صحيح الجامع: ٤٨٦) و(الصحيحة: ١٠٩٠)

- والأمانة مسئولية خطيرة يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]

- ويقول الحسن البصري ﷺ: "إن من الخيانة أن تُحدّثَ بسرِّ أخيك". (إحياء علوم الدين ١٣٢/٣)

فإفشاء أخيك لك بسرّه ثقة منه فيك، يجعلك تشير عليه بالصالح وبما تحبه لنفسك. وكما قيل: "المستشارُ مؤتمنٌ". أي مؤتمن على السر أو على الرأي الذي يشير به، وحتى لو لم يكن سراً وتحدّثت به؛ فقد وقعت في فضول الكلام، أو في الخوض في الباطل.

- وجاء في كتاب "الزهد" لابن المبارك عن أبي بكر بن محمد بن بكر بن حزم قال: قال رسول الله ﷺ: "إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره"

- يقول أحدهم عن حال الأمين الذي يكتم سرّ صاحبه:

ليصونها عن أن تمرّ بباله

ويكتم الأسرار حتى إنه

(الذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني: ص ٢٩٧)

- وقال ابن المعتز ﷺ:

فأودعته صدري فصار له قبراً

ومستودعي سراً تبوأته كتمه

(إحياء علوم الدين: ١٩٤/٢)

تنبيه:

من الأسرار التي ينبغي أن تُحفظ ولا تُتشر: ما يرى من الميت أثناء تغسيله

فقد أخرج الحاكم والبيهقي بسند صحيح من حديث أبي رافع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"مَنْ غَسَلَ مُسْلِمًا فَكُتِمَ عَلَيْهِ؛ غُفِرَ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً" - وفي رواية: "أربعين كبيرة، ومَنْ حَفَرَ لَهُ فَأَجَنَّهُ" (١) أَجْرَى عَلَيْهِ كَأَجْرِ مَسْكِنٍ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَفَّنَهُ كَسَاهُ اللَّهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقِ الْجَنَّةِ"

(صححه الألباني في أحكام الجنائز: ص ٥١)

فالثواب المذكور في الحديث مشروط بشرط الكتمان والستر على الميت، فلا يُحدّث بما قد يراه مكروهاً منه.

- وقد أخرج الطبراني في "الكبير" عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"مَنْ غَسَلَ مَيْتًا فَسْتَرَهُ، سَتَرَهُ اللَّهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَمَنْ كَفَّنَهُ، كَسَاهُ اللَّهُ مِنَ السُّنْدُسِ"

(صحيح الجامع: ٦٤٠٣)

(١) أجنّه: أي ستره في القبر.

• السلف الكرام، وحفظ الأسرار

كان السلف الصالح- وهم القدوة- من أشد الناس حفظاً للأسرار، وصدورهم أوعية لها

- أبو بكر رضي الله عنه وحفظه لسر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقد أخرج البخاري من حديث عن سالم بن عبد الله رضي الله عنه:

"أنه سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنه يحدث أن عمر بن الخطاب حين تأيّم^(١) حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي- وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفي بالمدينة- فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيني، فقال: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً، وكنت أوجد عليه^(٢) مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر، فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلتها".

- أنس بن مالك رضي الله عنه وحفظه سر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقد أخرج البخاري عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "أسر إلي النبي صلى الله عليه وسلم سرّاً فما أخبرت به أحداً بعده^(٣)، ولقد سألتني أم سليم فما أخبرت بها به"

- وأخرج الإمام أحمد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال:

"مر بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الصبيان فسلم علينا، ثم دعاني فبعثني إلى حاجة له، فجنّت وقد أبطأت عن أمي، فقالت: ما حبسك؟ أين كنت؟ فقلت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حاجة، فقالت: أي بني، وما هي؟ فقلت: إنها سرّ، قالت: لا تحدّث بسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً، ثم قال أنس: يا ثابت، لو كنت حدّثت به أحداً لحدّثتك يا ثابت".

(أصل هذا الحديث في الصحيحين).

(١) تأيّم: أي مات عنها زوجها.

(٢) أوجد عليه: أي أكثر غضباً منه.

(٣) قال الحافظ في "فتح الباري" (١١/١٥٠): "قال بعض العلماء: "كان هذا السر كان يختص بنساء النبي صلى الله عليه وسلم وإلا فلو كان من العلم ما وسع أنساباً كتمانها.

- عبد الله بن جعفر وحفظه لسر رسول الله ﷺ

فقد أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال:

"ركب رسول الله ﷺ بغلته وأردفني خلفه، وكان رسول الله ﷺ إذا تبرَّزَ كان أحبَّ ما تبرَّزَ فيه هدفٌ يستترُّ به أو حائش نخل، فدخل حائطاً^(١) لرجل من الأنصار، فإذا فيه ناضح^(٢) له، فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذفراه وسرَّاته^(٣) فسكن، فقال: مَنْ رَبُّ هذا الجمل؟ فجاء شاب من الأنصار، فقال: أنا، فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي تملكك الله إياها؟ فإنه شكاك إليّ، وزعم أنك تجيعه وتدئبه^(٤) ثم ذهب رسول الله ﷺ في الحائط وقضى حاجته، ثم توضأ، ثم جاء والماء يقطر من لحيته على صدره، فأسرَّ إليّ شيئاً لا أحدثُ به أحداً، فحرَّجنا^(٥) عليه أن يحدثنا، فقال: لا أفشي على رسول الله ﷺ سرَّهُ حتى ألقى الله تعالى". وهكذا كانوا يحفظون سرَّ رسول الله ﷺ

- وكان هند بن أبي هالة يصف مجلس رسول الله ﷺ فيقول:

"مجلس حلم وحياء، وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤين فيه الحرم، ولا تتنَّى فلتاته^(٦)..."

(شمائل الترمذي شرح علي القاري: ٣٩/١)

- ويروى أن معاوية رضي الله عنه أسرَّ إلى الوليد بن عتبة حديثاً فقال لأبيه:

"يا أبتى إن أمير المؤمنين أسرَّ إلى حديثاً، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك، قال: فلا تحدثني به، فإن من كتم سرَّهُ كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه، قال: قلت: يا أبتى وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين أبيه، قال: لا، والله يا بني، ولكن أحبُّ أن لا تُذلل لسانك بأحاديث السرِّ، فأتيت معاوية رضي الله عنه فحدثته، فقال: يا وليدُ أعتقك أبوك من رقِّ الخطأ، إفشاء السرِّ خيانة".

(الصمت لابن أبي الدنيا: ص ٤٥٢)، (الإحياء: ٣/١٣٢)

- وجاء في حديث أم زرع عن عائشة رضي الله عنها "... جاريةٌ أبي زرع، فما جاريةٌ أبي زرع؟

لا تبتُّ حديثنا تبتُّينا^(٧)، ولا تنقَّتْ ميرتنا تنقَّتينا^(٨)، ولا تملأ بيتنا تعشيشاً^(٩)..." الحديث.

(١) الحائط: هو البستان من النخيل إذا كان عليه حائط وهو الجدار.

(٢) الناضح: هو البعير يستقي عليه.

(٣) الذفري في البعير: أصل أذنه، والسراة من كل شيء: ظهره وأعلاه.

(٤) تدئبه: أي تكده وتتعبه.

(٥) حرَّجنا عليه: أي ألحنا عليه وضيعنا من الحرج وهو الضيق.

(٦) لا تننَّى فلتاته: أي "لا تذاع سقطاته"، والفلتات: جمع فلتة، والفلتات يعني الزلات، أي لم يكن في مجلسه زلات فتحفظ وتحكى. (النهاية: ٣/٦٨)

(٧) لا تبتُّ حديثنا تبتُّينا: يعني لا تشيعه وتفسيه، وإنما تكتم سرنا وحديثنا كله.

(٨) ولا تنقَّتْ ميرتنا تنقَّتينا: الميرة: الطعام المجلوب، والمعنى لا تفسده ولا تفرقه ولا تذهب به، والمراد وصفها بالأمانة.

(٩) ولا تملأ بيتنا تعشيشاً: معناه لا تترك الكناسة والقمامة فيه كعش الطائر، أي أنها تنظف البيت وتعني به.

• وصايا وأقوال السلف بحفظ السر

- **قال العباس لابنه عبد الله:** "إني أرى هذا الرجل - يعني عمر بن الخطاب - **ﷺ** يُقدِّمَكَ على الأشياخ فاحفظ عني خمساً: لا فُشين له سرا، ولا تغتابنَّ عنده أحداً، ولا تُجرينَّ عليه كذباً، ولا تعصين له أمراً، ولا يطلعنَّ منك على خيانة، قال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف".
(إحياء علوم الدين: ٢/١٩٥)

- **وقال سعيد بن المسيب **ﷺ**:** "كُتِبَ إِلَيَّ بعضُ إخواني من أصحاب رسول الله **ﷺ**: أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظننَّ بكلمة خرجت من امرئ مسلمٍ شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً، ومن عرَّض نفسه للتهم فلا يلومنَّ إلا نفسه، ومن كتم سرَّه كانت الخيرة في يده، وما كفات من عصي الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تعالى فيه...".
(شعب الإيمان: ٦/٣٢٣ - رقم ٨٣٤٥).

- **قال الثوري **ﷺ**:** "إذا أردت أن تؤاخِي رجلاً فأغضبه، ثم دسَّ عليه من يسأله عنك وعن أسرارك، فإن قال خيراً وكنتم سرَّك فاصحبه".
(إحياء علوم الدين: ٢/١٩٥)

- **وقد مرَّ بنا قول بعض الحكماء لابنه:** "يا بني كُن جواداً بالمال في موضع الحق، ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء: الإنفاق في وجه البرِّ، والبخل بمكتوم السرِّ".
(أدب الدنيا والدين: ص ٢٩٥)

- **قال الغزالي **ﷺ**:** "أفشى بعضهم سرا له إلى أخيه، ثم قال له: هل حفظت؟ قال: بل نسيت".
(الإحياء: ٢/١٩٥)

- **وأشده ثعلب فقال:**

مضارعةً للصوم والصلوات
وترك ابتذال السرِّ في الخلوات

ثلاث خصالٍ للصدیقِ جعلتها
مواساته والصفح عن عثراته

(آداب العشرة: ٣٨).

- **وقال نو النون المصري:** "لا خير في صحبة من لا يحبُّ أن يراك إلا معصوماً، ومن أفشى السرِّ عند الغضب فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها".
(الإحياء: ٢/١٩٥)

- قال بعضهم:

ليس الكريم الذي إذا زلَّ صاحبه
إن الكريم الذي تبغي مودته
بث الذي كان من أسراره علماً
ويحفظ السر إن صافى وإن صرماً

(آداب العشرة: ص ٢٣)

- قال أبو حاتم: "الإفراط في الاسترسال بالأسرار عَجْزٌ، وما كتبه المرء من عدوّه، فلا يجب أن يظهره لصديقه وكفى بذوي الألباب عبراً ما جربوا، ومن استودع حديثاً فليستره، ولا يكن مهتاكاً ولا مشياً؛ لأن السر إنما سُمِّيَ سراً لأنه لا يفشى".
(روضة العقلاء: ص ٢٥٥)

- قال السفاريني رحمته الله: "قال الحكماء: ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يقدم عليها: شرب السمِّ للتجربة، وإفشاء السر إلى القرابة والحاسد، وإن كان ثقة، وركوب البحر وإن كان فيه غنى".
- وقال أيضاً: "يروى أن أصبر الناس من لا يفشي سرّه إلى صديقه مخافة التقلب يوماً ما".
(غذاء الألباب: ١/١١٧)

- وقال بعض الفصحاء: "ما لم تُغَيَّبْ الأضالعُ فهو مكتشوفٌ ضائع".

(أدب الدنيا والدين: ص ٢٩٥)

- وقد قيل: "الصبرُ على القبض على الجمرِ أيسر من الصبر على كتمان السر".

(الذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني: ص ٢٩٨)

- وقال الأبيشي رحمته الله: "اعلم أن أمناء الأسرار أقل وجوداً من أمناء الأموال، وحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار؛ لأن أحرارَ الأموال منيعةٌ بالأبواب والأقفال، وأحرارُ الأسرار بارزةٌ، يذيعها لسانٌ ناطقٌ، ويشيعها كلامٌ سابق، وحملُ الأسرارِ أثقل من حملِ الأموال".
(المستطرف: ١/٢٩٦)

• حكم إفشاء السر بعد موت صاحبه

إفشاء سر الرجل بعد موته فيه تفصيل:

فأحياناً يكون مباحاً وقد يستحب إن كان هناك منقبة أو كرامة لهذا الرجل الصالح لا يريد أن يظهرها في حياته، فلا مانع أن تذكر بعد موته ليقْتَدَى به، وتارة يكون إفشاء سر الميت واجب إن كان عليه حق تعدّر القيام به، فيذكر السر لمن يتسنى له القيام بهذا الواجب أو الحق، وأحياناً يكره وقد يُحرّم إذا كان إفشاء سر هذا الميت يلحق به ضرر بعد موته أو بأهل بيته.

– ونقل الحافظ ابن حجر رحمته الله في "فتح الباري" (١٥/١١) عن ابن بطال رحمته الله أنه قال:

"أكثر العلماء على أنه إذا مات صاحب السر، فإنه لا يلزم من كتمان ما كان يلزم في حياته، إلا أن يكون عليه فيه غضاضة".

ثم قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: الذي يظهر أن الإفشاء بعد الموت ينقسم إلي:

١- ما يحرم إذا كان فيه غضاضة على صاحبه.

٢- ما يكره مطلقاً.

٣- ما يبأح.

٤- ما يستحب ذكره وإن كرهه صاحب السر كأن يكون فيه تزكية أو منقبة أو نحو ذلك.

– ومن الصور المباحة لإفشاء السر بعد موت صاحبه

ما ذكره البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

"كُنَّ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عنده، فلم يغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمة تمشي، ما تخطى مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فلما رآها رجب بها، فقال: مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارها فبكت بكاءً شديداً، فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت، فقلت لها: خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين نساءه بالسّرار، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره. قالت: فلما توفّي رسول الله، قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: أما الآن فنعم، أما حين سارني في المرة الأولى فأخبرني: أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين وإني لا أرى^(١) الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله وأصبري، فإنه نعم السلف أنا لك، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية، فقال: يا فاطمة أما ترضي أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة؟ قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت".

(١) وإني لا أرى: أي لا أظن.

- ومن صور إفشاء السر بعد موت صاحبه

ما حدث مع عامر بن عبد الله التميمي رضي الله عنه، حيث يقول عنه أحد أبناء البصرة:

"سافرت في قافلة فيها عامر بن عبد الله، فلما أقبل علينا، نزلنا بغيضة^(١)، فجمع عامر متاعه، وربط فرسه بشجرة، وطوّل له زمامه^(٢)، وجمع من حشائش الأرض ما يشبعه وطرحه أمامه، ثم دخل الغيضة وأوغل^(٣) فيها، فقلت في نفسي: والله لأتبعه، ولأنظرنّ ما يصنع في أعماق الغيضة في هذه الليلة، فمضى حتى انتهى إلى رابية ملتفة الشجر مستورة عن الأعين.. فاستقبل القبلة، وانتصب قائماً يصلي، فما رأيت أحسن من صلاته ولا أكمل ولا أخشع، فلما صلى ما شاء الله أن يصلي، طفق^(٤) يدعو الله ويناجيه، فكان ممّا قاله: إلهي لقد خلقتني بأمرك، وأقممتني في بلايا هذه الدنيا بمشيتك، ثم قلت لي: استمسك^(٥)، فكيف أستمسك إن لم تمسكني بلطفك يا قوي يا متين؟ إلهي إنك تعلم أنه لو كانت لي هذه الدنيا بما فيها، ثم طُلبت مني مرضاة لك، لوهبته لطالبها

فهب لي نفسي يا أرحم الراحمين.. إلهي إني أحببتك حباً سهل عليّ كل مصيبة، ورضاني بكل قضاء.. فما أبالي مع حبي لك ما أصبحت عليه، وما أمسيت فيه،

قال الرجل البصري:

"ثم إنه غلبني النعاس، فأسلمت جفني إلى الكرى^(٦)، ثم ما زلتُ أنام واستيقظ، وعامر منتصب في موقفه، ماضٍ في صلاته ومناجاته، حتى تنقّس الصبح^(٧) فلما بدا له الفجر أدى المكتوبة^(٨)، ثم أقبل يدعو فقال: اللهم ها قد أصبح الصبح، وطفق الناس يغدون ويروحون، يبتغون من فضلك، وإن لكلٍ منهم حاجة، وإن حاجة عامرٍ عندك أن تغفر له، اللهم فاقضي حاجتي وحاجاتهم يا أكرم الأكرمين.

(١) الغيضة: مجتمع الشجر في مغيض الماء.

(٢) الزمام: الرّسن، وهو الحبل الذي تقاد به الدّابة.

(٣) أوغل فيها: أبعد وتواري.

(٤) طفق يدعو: أخذ يدعو.

(٥) استمسك: اضبط نفسك.

(٦) الكرى: النوم.

(٧) تنقّس الصبح: تبّجّج الصبح وظهر.

(٨) المكتوبة: الصلاة المفروضة.

اللهم إني سألتك ثلاثاً، فأعطيتني اثنتين، ومنعتني واحدة، اللهم فأعطينيها حتى أعبدك كما أحبُّ وأريد، ثم نهض من مجلسه، فوقع بصره عليّ... فلم بمكاني منه في تلك الليلة فجزع^(١) لذلك أشدَّ الجزع، وقال لي في أسى^(٢): أراك كنت ترقبني الليلة يا أبا البصرة؟! فقلت: نعم، فقال استر ما رأيت مني ستر الله عليك، فقلت: والله لتحدثني بهذه الثلاث التي سألتها ربك، أو لأخبرنَّ الناس بما رأيت منك. فقال: ويحك^(٣) لا تفعل، فقلت: هو ما أقول لك، فلما رأى إصراري قال: أحدثك على أن تعطيني عهد الله وميثاقه ألا تُخبر بذلك أحداً، فقلت: لك عليّ عهد الله وميثاقه ألا أفشي لك سرا ما دمت حياً، فقال: لم يكن شيء أخوف عليّ في ديني من النساء، فسألت ربي أن ينزع من قلبي حُبهنَّ، فاستجاب لي حتى صرْتُ ما أبالي^(٤) امرأة رأيتُ أم جداراً، فقلت: هذه واحدة، فما الثانية؟ فقال: الثانية أني سألت ربي ألا أخاف أحداً غيره، فاستجاب لي حتى أني والله ما أرهبُ شيئاً في الأرض ولا في السماء سواه، قلت: فما الثالثة؟ فقال: سألت ربي أن يذهبَ عني النوم حتى أعبده بالليل والنهار كما أريد، فمنعني هذه الثالثة، فلما سمعت منه ذلك، قلت له: رفقاً بنفسك، فإنك تقضي ليلك قائماً، وتقطع نهارك صائماً، وإن الجنة تدرك بأقل مما تصنع، وإن النار تُنقى بأقل مما تعاني، فقال: إني لأخشى أن أندم حيث لا ينفع الندم، والله لأجتهدنَّ في العبادة ما وجدتُ إلى الاجتهاد سبيلاً، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن دخلت النار فببِقْصيري".

(انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٠٣/٧)، (صفة الصفوة: ٢٠١/٣)، (حلية الأولياء: ٨٧-٩٥)

(تاريخ الطبري: ١٩/٤)، (المعارف لابن قتيبة: ص ٤٣٨)

(١) جزع: خاف واغتمَّ.

(٢) في أسى: في حزن.

(٣) ويح: حكمة ترخَّم وتوجَّع.

(٤) ما أبالي: ما أهتم وما أكرث.

ثانياً: الكلام فيما لا يعني (فضول الكلام)

وحدُّ الكلام فيما لا يعني هو أن يتكلم الإنسان بكلام لو سكت عنه لم يَأْثُم، ولم يلحقه ضرر في الحال والمآل، ومثاله: أن يجلس المرء مع جلسائه فيذكر لهم أسفاره، وما رأى فيها من جبال وأنهار، وما وقع له في رحلته، وما استحسنته من الأطعمة والأشربة والثياب، فهذه أمور له سكت عنها لم يَأْثُم ولم يستضر في حال ولا مآل.

والباعث على الكلام فيما لا يعني هو الحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه، أو تمضية الأوقات بحكايات وأحوال لا فائدة فيها.

(انظر الإحياء: ١٥٣/٣)

وكما أن الخوض فيما لا يعني أمر مذموم، فكذلك فضول الكلام والزيادة فيما لا يعني أمر مذموم قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]

ومعنى الآية: أنه لا نفع في كثير من كلام الناس سراً فيما بينهم، إلا إذا كان حديثاً داعياً إلى بذل المعروف من الصدقة، أو الكلمة الطيبة، أو التوفيق بين الناس، ومن يفعل تلك الأمور طلباً لرضا الله - تعالى - راجياً ثوابه، فسوف نؤتيه ثواباً جزيلاً واسعاً.

اعلم أخي الحبيب... أن رأس مال العبد أوقاته، فإن صرفها فيما لا يعنيه، ولم يعد عليه بنفع ولم يدخر به ثواباً في الآخرة، فقد ضيَّع رأس ماله، ولا يجني يوم القيامة إلا الحسرة والندامة.

- وقد حثَّ النبي ﷺ على استغلال الأوقات وترك ما لا يعود على المرء بالخير والنفع **فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال:**

"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" (صححه الألباني في صحيح الترمذي: ١٨٨٦)، (صحيح الجامع: ٥٩١١) فالكلام فيما لا يعني إن لم يكن فيه ضرر، ففيه الخسارة من تضييع الوقت والأجر.

- يقول الإمام الحافظ ابن عبد البر ؓ في كتابه "التمهيد" (٢٠٠/٩):

وقول النبي ﷺ: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الألفاظ القليلة، وهو مما لم يقله أحد قبله؛ لأن من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه من الأقوال والأعمال، إذ الإسلام يقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات، وإذا حسن الإسلام استلزم ذلك ترك ما لا يعني من المشتبهات والمكروهات وفضول المباحات (وهو القدر الزائد على الحاجة)، فإن هذا كله لا يعني المسلم إذا كمل إسلامه، وبلغ درجة الإحسان الذي أوضح رسول الله ﷺ حقيقته في حديث عمر بن الخطاب ؓ في سؤال جبريل ؑ عن الإسلام والإيمان والإحسان، فقال:

"أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك."

(أخرجه مسلم وغيره)

وَمَنْ عَدَّ اللهُ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبَةٍ مِنْ رَبِّهِ، أَوْ قُرْبِ رَبِّهِ مِنْهُ فَقَدْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتْرَكَ كُلَّ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ وَاسْتِغْلَلَ بِمَا يَعْنِيهِ مِنْ صِحَّةِ اعْتِقَادٍ وَكَمَالِ إِيمَانٍ وَصَلَاحِ عَمَلٍ، وَطَلَبَ مَا هُوَ مِنْ ضَرُورَاتِ مَعَاشِهِ لَا قِيَامَ لِحَيَاتِهِ بِدُونِهِ مِنْ أَلْوَانِ الْمَبَاحَاتِ، وَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ مَنْ أَضَاعَ نَفَائِسَ الْأَوْقَاتِ فِيمَا لَمْ تُخَلَقْ لَهُ بِاسْتِغْلَالِهِ بِمَا لَا يَعْنِيهِ، فَانصَرَفَ بِهِ عَمَّا يَنْفَعُهُ وَيَرْتَفِعُ بِمَقَامِهِ وَيَبْلُغُ بِهِ صَاحِبِ الْغَايَاتِ وَشَرِيفِ الْمَقَاصِدِ وَكَرِيمِ الْمَنَازِلِ، فَخَسِرَ هُنَالِكَ خُسْرَانًا مُبِينًا.

أَلَا وَإِنَّ مِنْ اسْتِغْلَالِ الْمَرْءِ بِمَا لَا يَعْنِيهِ تَعَلُّمَ مَا لَا يَهْمُ فِي الْعُلُومِ، وَتَرْكَ الْأَهْمِ مِنْهَا مِمَّا فِيهِ صَلَاحٌ لِقَلْبِهِ، وَتَرْكِيَّةَ نَفْسِهِ، وَنَفْعَ إِخْوَانِهِ، وَرَفْعَ شَأْنِ وَطَنِهِ وَأُمَّتِهِ، وَمَنْهُ أَيْضًا عَدَمُ حِفْظِ اللِّسَانِ عَنِ لُغْوِ الْكَلَامِ، وَعَنْ تَتَبُّعِ مَا لَا يَهْمُ وَلَا يَنْفَعُ تَتَبُّعَهُ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَمَقْدَارِ إِنْفَاقِهِمْ وَأَدْخَارِهِمْ وَمِنْ إِحْصَاءِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَالتَّتَقِيْبِ عَنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ دَاخِلَ دَوْرِهِمْ وَبَيْنَ أَهْلِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، بِغَيْرِ غَرَضٍ شَرْعِيٍّ سِوَى الْكَشْفِ عَمَّا لَا يَعْنِي مِنْ خَاصِّ أُمُورِهِمْ وَخَفِيِّ أُمُورِهِمْ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا - يَا عِبَادَ اللهِ - تَكَلُّمُ الْمَرْءِ فِيمَا لَا يَحْسَنُهُ وَلَا يَتَّقَنُهُ، مِمَّا لَا يَعْرِفُ لَهُ تَخَصُّصَ فِيهِ وَلَا سَابِقَ إِمَامٍ أَوْ خَبْرَةَ بِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مَطْلُوبَ مِنْهُ التَّحَدُّثُ أَوْ إِبْدَاءُ الرَّأْيِ فِيهِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَطَلْبُ التَّسْلِيِّ وَإِزْجَاءِ الْوَقْتِ وَإِضَاعَتِهِ وَتَصَدُّرِ الْمَجَالِسِ وَصَرْفِ الْأَنْظَارِ إِلَيْهِ، وَقَدْ يَخْرُجُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى الْخَوْضِ فِيمَا لَا يَجُوزُ الْخَوْضُ فِيهِ مِنْ أَحَادِيثِ الْفَوَاحِشِ وَالشَّهَوَاتِ وَوَصْفِ الْعَوْرَاتِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ، وَنَشْرِ قَالَةِ السُّوءِ وَبِثِّ الشَّائِعَاتِ وَالْأَكَاذِيبِ وَالْأَخْبَارِ الْمَفْتَرِيَّاتِ، وَقَدْ يَجْتَمِعُ إِلَى ذَلِكَ وَلَعَّ بِمَا يَسْمَى بِالتَّحْلِيلَاتِ وَالتَّوَقُّعَاتِ الْمَبْنِيَّةِ فِي غَالِبِهَا عَلَى الظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَصِحُّ تَتَبُّعُهُ، وَلَا الْخَوْضُ فِيهِ، وَلَا الْاسْتِنَادَ إِلَيْهِ، وَلَا الْإِغْتِرَارَ بِهِ، وَلَا الْعَمَلَ بِمَقْتَضَاهُ". اهـ

- **ويقول ابن القيم** رحمته الله: "وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبواباً من الشر، كلها مداخل للشيطان، فإمسك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها، وكم من حرب جرّتها كلمة واحدة، **وقد قال النبي** صلى الله عليه وسلم **لمعان** صلى الله عليه وسلم: **"وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم"**. (رواه الترمذي)

وأكثر المعاصي إنما يُولدُها فضول الكلام والنظر، وهما أوسع مداخل الشيطان، فإن جارحتيهما لا يملآن ولا يسأمان، بخلاف شهوة البطن، فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام، وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام، فجنايتهما متسعة الأطراف، كثيرة الشعب، عظيمة الآفات". اهـ

(التفسير القيم: ص ٦٢٧)

• الترغيب في ترك فضول الكلام

وصف هند بن أبي هالة رضي الله عنه منطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنه فقال: "... كان طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير" (مختصر الشمائل المحمدية للترمذي للألباني: ص ٢٠)

- وأخرج النسائي من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطول الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة". (صححه الألباني في سنن النسائي: ١٣٤١)

والمقصود من اللغو هنا كما قال الكفوي رضي الله عنه: "كُلُّ مطروحٍ من الكلام لا يعتد به". (الكليات: ٧٧٨)

- وسأل الحسين بن علي رضي الله عنه أباه عن مخرجه صلى الله عليه وسلم كيف كان يصنع فيه؟ فقال رضي الله عنه: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن^(١) لسانه إلا فيما يعنيه...". (مختصر الشمائل: ص ٢٣)

- وقال أيضاً: "كان صلى الله عليه وسلم لا يذمُّ أحداً، ولا يعيبه، ولا يطلب عورته^(٢)، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه". (المصدر السابق: ص ٢٥)

وأخرج البيهقي والطبراني والبعوي من حديث ركب المصري^(٣) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طوبى^(٤) لمن عمل بعمله، وأنفق من ماله، وأمسك الفضل من القول".

(قال ابن عبد البر: "حديث حسن، ولكن الراجح ضعفه")

- وتلا الحسن البصري رضي الله عنه قول الله تعالى: ﴿عَنِ اليمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] فقال: يا ابن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقل أو أكثر...".

- ومن الأمثلة التي تدل على ترك فضول الكلام ما رواه الترمذي وأبو داود وابن أبي الدنيا واللفظ له عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال: "قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر، فقالوا: أنت والدنا، وأنت سيدنا، وأنت أفضلنا علينا فضلاً، وأنت أطولنا علينا طولاً، وأنت الجفنة الغراء، وأنت... وأنت، فقال: قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان"

يقول الغزالي رضي الله عنه: "وفي هذا الحديث إشارة إلى أن اللسان إذا أظن بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها". اهـ

(١) يخزن: يحبس.

(٢) لا يطلب عورته: أي لا يطلب عورة أحد، وهي ما يستحي منه إذا ظهر، والمعنى: لا يظهر ما يريد الشخص ستره، ويخفيه عن الناس.

(٣) وركب المصري فيه خلاف، قال البغوي: "لا أدري أسمع النبي صلى الله عليه وسلم أم لا، وقال ابن منده: مجهول لا نعرف له صحبة، وروى هذا الحديث البزار من حديث أنس رضي الله عنه بسند ضعيف. (ضعيف الترغيب والترهيب: ١٧٠٥)

(٤) طوبى: شجرة عظيمة في الجنة، يخرج منها ثياب أهل الجنة.

• الترهيب من الكلام فيما لا يعني أو فضول الكلام

أخرج أبو الشيخ بسند فيه مقال من حديث أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"أكثر الناس ذنوباً أكثرهم كلاماً فيما لا يعنيه"

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله كره لكم ثلاث: قيل وقال^(١) وإضاعة المال^(٢) وكثرة السؤال^(٣)"
وقيل:

خَيْرُ الْكَلَامِ قَلِيلٌ	عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلٌ
وَالعِيُّ مَعْنَى قَصِيرٌ	يَحْوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلٌ
وَفِي الْكَلَامِ فَضُولٌ	وَفِيهِ قَالٌ وَقِيلٌ

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث علقمة عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله ﷻ له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه"
فكان علقمة يقول: كم من كلامٍ منعه حديث بلال بن الحارث."

- ومما يرغب في ترك فضول الكلام ما أخرجه الطبراني في "الكبير" عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنك لم تزل سالماً ما سكت، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك"
(صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب)

(١) قيل وقال: ومعناها كما قال المحب الطبري: "هي على ثلاثة أوجه: أحدها: أنهما مصدران للقول، تقول: قلت: قولاً وقالاً، والمراد في الأحاديث الإشارة إلى كراهة كثرة الكلام؛ لأنها تؤول إلى الخطأ، قال: وإنما كرهه للمبالغة في الزجر عنه. ثانيها: إرادة حكاية أقاويل الناس، والبحث عنها ليخبر عنها، فيقول: قال: فلان كذا، وقيل: كذا، والنهي عنه إما للزجر عن الاستكثار منه، وإما لشيء مخصوص منه، وهو ما يكرهه المحكي عنه. ثالثها: أن ذلك في حكاية الاختلاف في أمور الدين كقوله: "قال فلان كذا، وقال فلان كذا، ومحل كراهة ذلك أن يكثر من ذلك بحيث لا يؤمن مع الإكثار من الزلل، وهو مخصوص بمن ينقل ذلك من غير تثبت، ولكن يقلد من سمعه ولا يحتاط له". اهـ.
قال ﷺ في "الفتح" (٣١٤/١٠): "ويؤيد ذلك الحديث الصحيح: "كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع".

(٢) إضاعة المال: الإسراف في الإنفاق، أو الإنفاق في الحرام، وقال في فتح الباري: "إن المقصود بإضاعة المال هو: ما أنفق في غير وجهه المأذون فيه شرعاً، سواء كانت دينية أو دنيوية فمنع منه؛ لأن الله تعالى جعل المال قياماً لمصالح العباد، وفي تبذيره تفويت تلك المصالح إما في حق مضيعها، وإما في حق غيره، ويستثنى من ذلك كثرة إنفاقه في وجوه البر لتحصيل ثواب الآخرة ما لم يفوت حقاً أخروياً أهم منه". اهـ.
(٣) كثرة السؤال: إما المقصود به: سؤال المال، أو السؤال عن الأمور المشككة المعضلة، أو كثرة سؤال إنسان بعينه عن تفاصيل حاله، فإن ذلك يكرهه المسئول غالباً، أو السؤال عن مسائل يستحيل وقوعها عادة أو يندر جداً، أو السؤال عن أشياء العلم بها لا ينفع والجهل بها لا يضر.

- وكان مجاهد رضي الله عنه يقول في كتاب "الزهد" لهناد (٢/٥٣٥):

"ما من شيء يتكلم به العبد إلا أحصي عليه، حتى أئنيه في مرضه"

- وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني: "أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أحد الصحابة يزوره في مرضه،

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أبشر يا كعب^(١)، فقالت أم كعب: هنيئاً لك يا كعب الجنة^(٢)، فقال صلى الله عليه وسلم: وما يدريك يا أم كعب؟! لعل كعباً قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يعنيه".

- وفي رواية عند أبي يعلى والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

"قُتِلَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَهِيداً، فَبَكَتْ عَلَيْهِ بَاكِيَةً، فَقَالَتْ: وَاشْهِدَاهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: وَمَا يَدْرِيكَ أَنَّهُ شَهِيدٌ؟ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، أَوْ يَبْخُلُ بِمَا لَا يَنْقُصُهُ".

- وأخرج الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال:

"تُوفِّيَ رَجُلٌ، فَقَالَ رَجُلٌ آخَرَ، وَرَسُولُ اللَّهِ يَسْمَعُ: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَوْ لَا تَدْرِي^(٣)؟ فَعَلَّهُ تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ^(٤)، أَوْ بَخَلَ بِمَا لَا يَنْقُصُهُ".

- وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً وأبو يعلى من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال:

"أُسْتُشْهِدَ رَجُلٌ مَنَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَوُجِدَ عَلَى بَطْنِهِ صَخْرَةٌ مَرْبُوطَةٌ مِنَ الْجُوعِ، فَمَسَحَتْ أُمُّهُ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَتْ: هَنِيئاً لَكَ يَا بَنِيَّ الْجَنَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: مَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ وَيَمْنَعُ مَا لَا يَضُرُّهُ^(٥)".

- وأخرج البيهقي بسند فيه مقال عن أبي سلمة بن عبد الرحمن:

"أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ رضي الله عنها وَمَعَهَا نِسْوَةٌ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: وَاللَّهِ لَأَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ فَقَدْ أَسْلَمْتُ، وَمَا سَرَقْتُ، وَمَا زَنَيْتُ، فَأْتَيْتُ فِي الْمَنَامِ، فَقِيلَ لَهَا: أَنْتِ الْمَتَأَلِيَّةُ^(٦) لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ كَيْفَ وَأَنْتِ تَبْخُلِينَ بِمَا لَا يَعْنِيكَ، وَتَتَكَلَّمِينَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَتِ امْرَأَةٌ دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا رَأَتْ، وَقَالَتْ: اجْمَعِي النِّسْوَةَ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدَكَ حِينَ قَلْتِ مَا قَلْتِ، فَأَرْسَلْتِ إِلَيْهِنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها فَجِئْنَ، فَحَدَّثْتَهُنَّ امْرَأَةً بِمَا رَأَتْ فِي الْمَنَامِ".

(١) أبشر يا كعب: أي بالشفاء، أو لعله بالجزاء، أي جزاء المرض وثوابه.

(٢) ظننت أن البشري بالجنة.

(٣) أولاً تدري؟: يعني أقول ولا تعلم؟.

(٤) تكلم فيما لا يعنيه: يعني في الأمور التي تشغله ولا تهتمه.

(٥) ويمنع ما لا يضره: أي يرضن بالذي لا يجعله فقيراً محتاجاً.

(٦) المتألية: أي الحاكمة على الله.

الآثار:

- قيل لعيسى عليه السلام: "دُنَّا عَلَى عَمَلٍ نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، قَالَ: لَا تَنْتَقُوا أَبَدًا، قَالُوا: لَا نَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَقَالَ: فَلَا تَنْتَقُوا إِلَّا بِخَيْرٍ".
(إحياء علوم الدين: ٣/١٢٠)

- وقال عيسى عليه السلام: "طُوبَى لِمَنْ بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، وَخَزَنَ لِسَانَهُ^(١)، وَوَسَعَهُ بَيْتَهُ".
(حسن السمعت في الصمت: ٦٥).
وروي عنه أيضاً أنه قال لأحد أصحابه: "إِذَا رَأَيْتَ قَسَاوَةً فِي قَلْبِكَ، وَوَهْنًا فِي بَدَنِكَ، وَحِرْمَانًا فِي رِزْقِكَ، فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ بِمَا لَا يَعْنيكَ".
(تنبيه الغافلين: ص ١٦٧)

وروي عنه أيضاً أنه قال: "كُلُّ كَلَامٍ لَيْسَ بِذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ لَعْوٌ، وَكُلُّ سَكُوتٍ لَيْسَ بِفِكْرٍ فَهُوَ غَفْلَةٌ وَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ بِعِبْرَةٍ فَهُوَ لَهْوٌ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ كَلَامُهُ ذِكْرًا، وَسَكُوتُهُ تَفَكُّرًا، وَنَظَرُهُ عِبْرَةً"

- وقال سليمان بن داود -عليهما السلام-: "إِنْ كَانَ الْكَلَامُ مِنْ فِضَّةٍ، فَالْسَكُوتُ مِنْ ذَهَبٍ"
(إحياء علوم الدين: ٣/١٢٠)
- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ^(٢)، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ".
(جامع العلوم والحكم: ص ١٦١).

- وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "أَنْذَرْتُمْ فَضُولَ الْكَلَامِ، بِحَسَبِ أَحَدِكُمْ مَا بَلَغَ حَاجَتَهُ".
(الصمت لابن أبي الدنيا: ٢٣٩)
- وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "لَا خَيْرَ فِي فَضُولِ الْكَلَامِ".

- ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "خَمْسٌ لَهْنٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّهْمِ^(٣) المَوْقِفَةُ: لَا تَتَكَلَّمُ فِيْمَا لَا يَعْنيكَ، فَإِنَّهُ فَضْلٌ، وَلَا آمَنُ عَلَيْكَ الْوِزْرُ، وَلَا تَتَكَلَّمُ فِيْمَا يَعْنيكَ حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعًا، فَإِنَّهُ رَبُّ مَتَكَلِّمٍ فِي أَمْرٍ يَعْنيهِ، قَدْ وَضَعَهُ، فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَيَعْنَتُ، وَلَا تُمَارِ^(٤) حَلِيمًا وَلَا سَفِيهًا، فَإِنَّ الْحَلِيمَ يَقْلِبُكَ، وَإِنَّ السَفِيهَ يُؤْذِيكَ، وَانْذَرِ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ بِمَا تَحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ، وَاعْفِهِ مِمَّا تَحِبُّ أَنْ يَعْفيكَ مِنْهُ، وَعَامِلِ أَخَاكَ بِمَا تَحِبُّ أَنْ يَعْامِلَكَ بِهِ، وَاعْمَلْ عَمَلِ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَجَازِي بِالْإِحْسَانِ، مَأْخُوذٌ بِالْإِجْرَامِ".
(إحياء علوم الدين: ٣/١٢٢)

(١) خزن لسانه: أي حبسه.

(٢) سقطه: يعني الخطأ في القول والفعل.

(٣) الدهم: جمع أدهم، وهو من الخيل ما بين الأشقر والأسود، وناقاة دهماء: إذا اشتدت ورقتها حتى ذهب البياض الذي فيها.

(٤) تمار: تجادل.

- ويقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: "الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع، وإن أكثرته منه قتل".

- ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: "دع ما لست منه في شيء، ولا تتطرق فيما لا يعينك، واخزن (١) لسانك كما تخزن ورقك (٢)".
(إحياء علوم الدين: ١٢٢/٣)

- وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال: "قال رجل لسلمان رضي الله عنه أوصني، قال: لا تكلم، قال: وكيف يصبر رجل على أن لا يتكلم؟ قال: فإن كنت لا تصبر على الكلام فلا تتكلم إلا بخير أو اصمت".
(الصمت لابن أبي الدنيا: ص ٢١٥)

- يقول أحدهم:

واحفظ كلامك أيماً حفظ

عود لسانك قلة اللفظ

أصبحت محتاجاً إلى الوعظ

إياك أن تعظ الرجال وقد

(أدب الدنيا والدين للماوردي: ٨٧).

- وقال الأوزاعي رضي الله عنه: "كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه برسالة لم يحفظها غيري، وغير مكحول. قال فيها: "أما بعد: فإنه من أكثر ذكر الموت، رضي من الدنيا باليسير، ومن عدّ كلامه من عمله، قلّ كلامه إلا فيما يعنيه".
(إحياء علوم الدين: ١١٢/٣) (وكذا قال الفضيل رضي الله عنه)

- ويقول عبد الله بن المبارك رضي الله عنه: "قال بعضهم في تفسير الغزلة:

"هو أن تكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فحُضْ معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت".

- وقال أكثم بن صيفي رضي الله عنه: "المكثار - أي الذي يُكثر من الكلام - كحاطب الليل".

قال أبو عبيد: "وإنما شبهه بحاطب الليل؛ لأنه ربما نهشته الحية، أو لسعته العقرب في احتطابه ليلاً".
فكذلك كثير الكلام فيما لا يعنيه ربما أصابه في إكثاره من الكلام بعض ما يكره.

- وقيل لرجل: "بم سادكم الأحنف؟ فوالله ما كان بأكبركم سناً ولا بأكثركم مالاً، فقال: بقوة سلطانه على لسانه".

(١) واخزن: أي احبس.

(٢) ورق: بكسر الراء يعني الفضة وقد تُسكَّن.

- **وقال بعض الحكماء:** "مَنْ نطق في غير خير فقد لغا، وَمَنْ نظر في غير اعتبارٍ فقد سها، وَمَنْ سكت في غير فكرٍ فقد لها".

- **وقيل للقمان الحكيم:** "ما بلغ من حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كُفيتَه، ولا أتكلّم بما لا يُعني".

وروي عنه أيضاً أنه قيل له: "ما بلغ بك ما نرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني".
(الآداب الشرعية: ٣٩/١)

- **وقد روي عنه أيضاً:** "أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسردُ درعاً، فجعل يتعجبُ مما يرى، فأراد أن يسأله عن ذلك، فمنعته حكمتك فأمسك، فلما فرغ داود عليه السلام قام ولبس الدرع، ثم قال: **نعم الدرع للحرب، فقال لقمان: الصمت حكمة، وقليل فاعله.**"

(مختصر منهاج القاصدين: ص ١٨٤)

- **وعن المعلى قال:** "قال مورك العجلي: "أمرٌ أنا في طلبه منذ كذا وكذا سنة، لم أقدر عليه، ولستُ بتاركٍ طلبه أبداً، قالوا: وما هو يا أبا المعتمر؟ قال: الكفُّ عمّا لا يعنيني".
(الزهد للإمام أحمد: ص ٣٠٥)، (الصمت لابن أبي الدنيا: ٥٧٠).

- **وعن علي بن حملة قال:** "قال عبد الله بن أبي زكريا الدمشقي:

"عاجتُ الصمت عمّا لا يعنيني عشرين سنة، قلّ أن أقدر منه على ما أريد".

(الحلية: ١٤٩/٥)، (الزهد لابن أبي عاصم: ص ٣٩)

- **وقال أبو المعتمر البصري:** "تعلمت الصمت في عشر سنين، وما قلت شيئاً قط إذا غضبتُ أندم عليه إذا زال غضبي".
(نزهة الفضلاء: ٣٩٧/١)

- **وروي أبو عبيدة عن الحسن عليه السلام أنه قال:**

"من علامة إعراض الله تعالى عن العبد، أن يجعل شغله فيما لا يعنيه خذلاناً من الله تعالى".

- وقال الحسن أيضاً:

"يا عجباً لابن آدم، حافظاه على رأسه، لسانه قلمهما، وريقه مدادهما، وهو بين ذلك يتكلم فيما لا يعنيه".
(الزهد للإمام أحمد: ص ٤٣)

- وقال أيضاً: "مَنْ كَثُرَ ماله كَثُرَتْ ذنوبه، وَمَنْ كَثُرَ كلامه كَثُرَ كذبه، وَمَنْ ساء خلقه عَدَبَ نفسه".
(الإحياء: ١٥٥/٣)

- وعن زيد بن أسلم قال: "دخلنا على ابن أبي دُجانة وهو مريض، ووجهه يتهلل، فقال: ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنتين: لم أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليماً".
(الصمت لابن أبي الدنيا: ٧٥).

- وكان الربيع بن خثيم رضي الله عنه يقول: "لا خير في الكلام إلا في تسع: تهليل، وتكبير، وتسبيح، وتحميد، وسؤالك من الخير، وتعوذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءتك للقرآن".

- وقال يزيد بن أبي حبيب رضي الله عنه: "مَنْ فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع، فإن وجد مَنْ يكفيه فإن في الاستماع سلامة، وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان".
(الإحياء ١٥٥/٣)

- ويقول سهل بن عبد الله: "مَنْ تكلم فيما لا يعنيه حُرِمَ الصدق".

- وكان مالك بن أنس رضي الله عنه يعيب كثرة الكلام فيقول: "لا يوجد إلا في النساء أو الضعفاء".
(الآداب الشرعية لابن مفلح: ٣٧/١)

- وكان محمد بن الفضل الحارثي رضي الله عنه يقول: "كان يقال: كثرة الكلام تذهب الوقار".
(حسن السمات في الصمت للسيوطي: ص ٢٨)

- وقال رياح القيسي رضي الله عنه: "قال لي عتبة الغلام:

"يا رياح، إن كنت كلما دعيتي نفسي إلى الكلام تكلمت، فبئس الناظر لها أنا، يا رياح! إن لي موقفاً يغتبط فيه بطول الصمت عن الفضول".

- وقال أبو جعفر محمد بن علي رضي الله عنه:

"كفى عيباً أن يبصر العبد من الناس، ما يعمى عليه من نفسه، وأن يؤذي جليسه فيما لا يعنيه".

- وكان عبد الله بن أبي زكريا: "إذا خاض جلساؤه في غير ذكر الله، رأيتهم كالمسايه، فإذا خاضوا في ذكر الله، كان أحسن الناس استماعاً".
(الصمت لابن أبي الدنيا: ٧/٥).

- **وقال أحدهم:** "العجب ممن يتكلم بكلمة إن هي رفعت ضرته، وإن لم ترفع لم تنفعه".
- **وكان أحدهم رأى بيتاً فقال:** "متى بُنيَ هذا البيت، ثم قال ما لك يا نفسي تتكلمين فيما لا يعينك، والله لأعاقبك بصيام سنة".
- **ويقول إبراهيم بن عبد العزيز التيمي** رحمته الله: "المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظراً، فإن كان كلامه له، تكلم، وإن كان عليه، أمسك عنه، والفاجر إنما لسانه رسلاً^(١) رسلاً". (الصمت لابن أبي الدنيا: ٢٤٧).
- **وقال الإمام الشافعي** رحمته الله **لصاحبه الربيع:**
- "يا ربيع، لا تتكلم فيما لا يعينك، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها".
- **ويقول أبو علي الدقاق** رحمته الله: "لو كنتم تشترون الكاغد - أي الورق - للحفظة لسكنتم عن كثير من الكلام". (شرح الأربعين النووية - حديث رقم (١٥): ص ٥٠).
- **وقال مالك بن دينار** رحمته الله: "لو أن القوم كُفُوا الصحف؛ لأقلوا المنطق". (الحلية: ٣٧٥/٢).

- يقول بعض الحكماء:

"إن جسد ابن آدم ثلاثة أجزاء: أولها القلب، والثاني اللسان، والثالث الجوارح، وقد أكرم الله تعالى كل جزء بكرامة، فأكرم القلب بمعرفته وتوحيده، وأكرم اللسان بشهادة "أن لا إله إلا الله"، وتلاوة كتابه، وأكرم الجوارح بالصلاة والصوم وسائر الطاعات، ووكل على كل جزء رقيباً حفيظاً، فتولى سبحانه حفظ القلب بنفسه، فلا يعلم ما في ضمير العبد إلا الله، ووكل على لسانه الحفظة، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [لق: ١٨]، وسلط على الجوارح الأمر والنهي.

ثم إنه يريد من كل جزء وفاء، فوفاء القلب أن يثبت على الإيمان، وأن لا يحسد ولا يخون ولا يمكر، ووفاء اللسان لا يغتاب، ولا يكذب، ولا يتكلم بما لا يعنيه، ووفاء الجوارح أن لا يعصي الله تعالى ولا يؤدي أحداً من المسلمين". اهـ.

(١) رسلاً: ليئناً مسترخياً لا توده فيه.

علاج فضول الكلام

يقول الغزالي رحمه الله كما في كتابه "الإحياء" (١٥٣/٣):

"وعلاج ذلك أن يعلم أن الموت بين يديه، وأنه مسئول عن كل كلمة، وأن أنفاسه رأس ماله، وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين، فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبین". اهـ

فعلى العاقل الذي يرجو الله والدار الآخرة أن يكون مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، بصيراً بزمامه، وأن يعد كلامه من عمله، فمن عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه".

- ومما يعين على ترك المرء ما لا يعنيه تذكر أن الواجبات أكثر من الأوقات، وأن العمر قصير كما أخبر بذلك رسول الهدى في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك"**. (صحيح الجامع: ١٠٧٣)

فمثل هذا العمر الذي لا يكاد يتسع لما يلزم ويجب، أفيتسع للفضول وما لا يعني؟!

- والمرء أيضاً مسئول عن عمره، فيم أفناه؟

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟"**. (صحيح الجامع: ٧٢٩٩)، (الصحيحة: ٩٤٦).

- وفي رواية أبي برزة الأسلمي وهي أيضاً عن الترمذي أن الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه ما فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟"**. (صحيح الجامع ٧٣٠٠)

فاعلم أخي الحبيب... أن عمرك هو أعلى ما تملك، فلا تتفقه إلا فيما يعود عليك بالنعف، ولو أنفق الإنسان منا جميع ما يملك ليسترجع لحظة واحدة من لحظات حياته قد مضت، ما استطاع، فمن جهلنا بقيمة الوقت نفرح بمغيب شمس كل يوم، ونحن لا ندرك أن هذه نهاية يوم من أعمارنا لن يعود أبداً، صحائف طويت، وأعمال أحصيت، وأنفاس انقضت.

- **يقول الحسن البصري** رضي الله عنه: "ما مر يوم على ابن آدم إلا قال له:

"ابن آدم إني يوم جديد وعلى ما تعمل في شهيد، وإذا ذهبت عنك لم أرجع إليك، فقدّم ما شئت تجده بين يديك، وأخر ما شئت فلن يعود أبداً إليك".

- **وكان سعيد بن جبير** رضي الله عنه يقول: "كل يوم يعيشه المؤمن غنيمة".

(تهذيب الكمال: ١٠/٣٦٦)، (قصر الأمل: ص ١٠٦)

- **وصدق سعيد بن جبير** رضي الله عنه: "فهنالك من توقفت أنفاسه، وانقطعت أعماله، فلا يستطيع أن يزيد في حسناته حسنة واحدة، وأقصى أمنية له، أن يعود إلى الدنيا ليتحلل من المظالم، ويكثر من فعل الطاعات، ولا ينفق لحظة من لحظات حياته إلا في مرضاة رب الأرض والسموات، ولكن حيل بينه وبين ما يشتهي".

فأنت أخي الحبيب في أمنية كثير من الأموات، فلا تُضيّع أوقاتك في غير طاعة، ولا تنفقها فيما لا يعود عليك بالنفع، فتندم يوم لا ينفع الندم، **وقد روي في الحديث الذي أخرجه البيهقي:**

"ما من ساعةٍ تمر بابن آدم لا يذكر الله فيها إلا تحسّر عليها يوم القيامة".

- **ويقول النبي** صلى الله عليه وسلم أيضاً كما عند الترمذي:

"من قال: سبحان الله العظيم وبحمده؛ غرست له نخلة في الجنة".

فكم ضيّعنا من نخيل؟ كم ضيّعنا من نخيل؟

- **يقول ابن قدامة** رضي الله عنه: "فاغتنم - رحمك الله - حياتك النفسية، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، واعلم أن مدة حياتك محدودة، وأنفاسك معدودة، فكل نفسٍ ينقص به جزء منك، والعمر كله قصير، والباقي منه هو اليسير، وكل نفس جوهرة نفيسة لا عدل لها، ولا خلف منها.

فإن هذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم المقيم أو العذاب الأليم، وإذا عادلّت هذه الحياة بخلود الأبد علمت أن كل نفس يعدل أكثر من ألف ألف عام في نعيم لا خطر له، أو خلاف ذلك.

فلا تُضيّع جواهر عمرك بغير طاعة، وتذهبها بغير عوض، واجتهد أن لا يخلو نفسٌ من أنفاسك إلا في عمل طاعة، أو قرية تتقربُ بها، فإنه لو كان معك جوهرة من جواهر الدنيا لساءك ذهابها، فكيف تفرط في ساعاتك وأوقاتك، وكيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير عوض". اهـ

• فالسلف الكرام كانوا يدركون هذه الحقيقة، فكانوا لا يصرفون أوقاتهم فيما لا يعينهم، بل تراهم في كل لحظة من لحظات حياتهم في طاعة أو قربة يتقربون بها إلى الله تعالى.

- **فها هو داود الطائي كان يستفُّ الفتيت ويقول:**

"بين سفَّ الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية".

- **وقال رجل لعامر بن عبد قيس:** "قف أكلمك. فقال عامر له: أمسك الشمس".

- **وكان أبو مسلم الخولاني يقول:**

"لو رأيت الجنة عياناً ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عياناً ما كان عندي مستزاد".

- **وها هو أبو البركات جد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله:**

"إذا أراد أن يدخل الحمام للاغتسال، يأتي بابنه، ويقول: يا بُني اجلس عند باب الحمام، واقرأ وارفع صوتك". يقول له ذلك حتى يستفيد من هذه اللحظات التي يقضيها في الخلاء".

- **وصدق القائل حيث يقول:**

إذا مرَّ بي يومٌ ولم أقتبس هدى
ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

- **ويقول ابن الجوزي رحمته الله كما في كتابه "صيد الخاطر":**

"لما رأيت الزمان أشرف شيء والواجب انتهازه بفعل الخير كرهت ذلك - أي ما اعتاده الناس من كثرة الزيارة - وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم وقعت الوحشة، وإن تقبَّلتهم ضاع الزمان، فصرت أدافع اللقاء جهدي، فإذا غلبت قصرت في الكلام لأتجمل الفراق، ثم أعددت أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم؛ لئلا يمضي الزمان فارغاً، فجعلت من المستعد للقائهم قطع الكاغد (الورق)، وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي".

- وكان عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه يقول: "إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى أن تقرأه، أو تأمر بمعروف، أو تنهى عن منكر، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها. أنتكرون أن عليكم حافظين، كراماً كاتبين، عن اليمين وعلى الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدكم أن لو نشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره، كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه".

(سير أعلام النبلاء: ٥/٨٦)، (الصمت لابن أبي الدنيا: ٢٤٠)

- وصدق القائل حيث قال:

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا
لم ينسأه الملكان حيث نسيته
واذكر ذنوبك وابكها يا مذب
بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعبُ

موعظة:

يا كثيرَ الكلام حسابك شديد، يا مؤثراً ما يضره ما رأيك شديد، يا ناطقاً بما لا يجدي ولا يفيد:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]، كلامك مكتوب، وقولك محسوب، وأنت يا هذا مطلوب، ولك

ذنوب وما تتوب: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾، أتظن أنك متروك مهمل، أم تحسب أنه ينسى ما

قد تعمل، أو تعتقد أن الكاتب يغفل، يا قاتلاً نفسه بكفه لا تفعل، يا من أجله ينتقص ولا يزيد:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]

وبعد...

فهذا آخر ما تيسرَّ جمعه في هذه الرسالة
 نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها منّا بقبول حسن، كما أسأله ﷺ أن ينفع بها
 مؤلفها وقارئها، ومن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.
 هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمئني
 ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب،
 فإن كان صواباً فادع لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي
 وإن وجدت العيب فسد الخلا
 جلّ من لا عيب فيه وعلا

فألهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب
 والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
 هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....
 سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك